الخصائص اللغوية المشتركة فى المسبَحات القرآنية (درسة وصفية دلالية)

Common Linguistic Characteristics in the Musabbihaat (A Descriptive Semantic Study)

Dr.Hifzur Rehman
BS.Coordinator & HOD Arabic
Govt. Gordon Graduate College Rawalpindi
Email: drhizurrehman65@gmail.com

Dr.Ammara Gulzar
Lecturer Linguistics, Faculty of Arabic,
International Islamic University,Islamabad,Pakistan
Email: ammara.gulzar@iiu.edu.pk

Rafia Bibi
Ph.D Scholar, Literature,Faculty of Islamic studies & Aabic,
NUML, Islamabad Campus,Pakistan

ABSTRACT

As we look closely at the Musabbihaat of Holy Quran, we see that the surahs are mostly civil, and began with praising God Almighty and include many linguistic and semantic features and the names of God and His beautiful attributes, which reach the miracle of the Quranic systems and fulfill the requirements of the structures and reveal the meanings and concepts of the verses where linked - These characteristics - the general themes of the surahs and their contexts.

My research has been distributed to show the definition of Musabbihaat and their importance first - in the introduction - and then divided into two sections, the first express the common phonetic, morphological and grammatical characteristics, and the second surrounds the common semantic phenomena, discovering many similar aspects between them that generate the atmosphere of praise and praise to Him, the Almighty, His greatness and dominion.

Keywords: Characteristics, Musabbihaat, Description, Semantics

خلاصة البحث: إذ أمعنّا النظر فى المسبَحات[1] من القرآن الكريم، فنطلع إلى أن السور معظمها مدنية، وبدأت بتسبيح الله عزوجل وتشتمل على العديد من السمات اللغوية والدلالية وعلى أسماء الله وصفاته الحسنى، والتى تصل إلى قمة نظم القرآني وتستوفئ بها مقتضى التراكيب وتكشف معاني الآيات ومفاهيمها حيث مرتبط – هذه الخصائص– بالموضوعات العام بالسور وسياقاتها.

قد تمّ توزيع بحثى إلى عرض تعريف المسبَحات وأهميتها أولا – فى المقدمة – ثم تقسيمه إلى مبحثين، الأول تبلور خصائص المشتركة الصوتية والصرفية والنحوية، والثاني يحيط الظواهر الدلالية المشتركة، مكتشفة العديد من الجوانب المتشابهة بينها التى تولد بها جوَ التسبيح والتحميد لسبحانه عزَوجل وعظمته وهيمنته.

الكلمات المفتاحية: القران الكريم الخصائص، اللغة ، الدلالة .

❖ المقدمة:

التعريف بالمسبحات وأهميتها:

المسبحات[2]؛ هى مجموعة من السور القرآنية التى تبدأ بكلمة (سبّح) وهى: الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، والأعلى. وهى سور مدنية عدا الأعلى هى المكية. وتتجلى أهمية هذه السور بتضمنها على الأسماء الحسنى والصفات الإلهية المكونة من الصيغ ذات التغييرات الصرفية العديدة التي توحي إلى المعاني الإضافية التي تبرز بها صفات الألوهية وهيمنته على العالم وحاكمتيه وغير ذلك من المعاني المتنوعة، كما جاء في التنزيل: [هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][3] وبالتأمل من الناحية الجزئية أي الصرفية والنحوية والدلالية تبرز موضوعاتها وأغراضها بشكل بارز كما هي أسس الإيمان والتوحيد ودعوتها إلى الجهاد والإنفاق وغير ذلك كثيرة، كما تكشف العلاقات المتلاصقة فيما بين هذه السور من الناحية اللغوية والبيانية والدلالية والموضوعية وغير ذلك كثيرة.

المبحث الأول: الخصائص الصرفية والنحوية المشتركة فى المسبحات أودّ أن أشير إلى بعض أهم "الخصائص اللغوية" مستخدمة فى المسبحات. وكلنا نعرف بأن اللغة العربية تشتمل على الأبواب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، فأذكر بعضا منها نموذجا لكشف استخدامها فى السور التى في صدد دراستي:

1– تضعيف الفعل: دلت كلمة "فعّل" على معنى مختص بزمان دلالة الإفادة، نحو: (دخل) أى وقع الدخول فى وقت مضى وتركيب الفعل يدل على إحداث شئ من العمل وغيره، وهذا الحدث كان "التسبيح" فى قوله تعالى:[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][4] وبقوله: [يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ] وبقوله: [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى] وكانت بداية المسبحات[5] جميعا بالفعل الثلاثى المزيدة بحرف(المضعّف العين) وهو(سبّح)،التى تدل على التكثير، أى تنزه وتتره لله كلّ ما فى الكون. "والتضعيف الذى يراد به التكثير إنّما تدل على كثرة وقوع الفعل"[6] أى أن جميع ما فى السموات والأرض يكثرون من التسبيح لله تعالى، فى كل زمان ومكان، وهذه الدلالة على الديمومة التسبيح التى استمرت خلال السور جميعا. ومن الشواهد أفعال المضعَفة فى المسبَحات:

فى الحديد: يُنَزِّلُ،تربّصتم، بيّنّا،المصّدّقين والمصّدّقات،الصّدّيق

وفى الحشر: لعذّبهم، شاقّ يشاقُّ، يسلِّطُ، قدّمتْ، جبّار

وفى الصف: أدلُّكم، بَشِّرْ،

وفى الجمعة: يزكّيهم ويعلّمهم، حُمّلوا،كذّبوا، قدّمت

وفى التغابن: صوّركم، لتنبّؤنَّ، يُكفِّرُ، كذّبوا

وفى الأعلى: سوّى، قدّر، نيسّرك، سيذّكّر، ويتجنّبُها، تزكّى

فجميع هذه الكلمات تؤفى معنى حسب المقام كما تؤدّى دلالة التكثير والتوكيد فى الكلام.

2–استخدام المشتقات: نجد المشتقات بكثرة فى المسبَحات لأن السياق والمقام يقتضيها كما نراعي صيغة اسم مفعول"مستخلفين" فى قوله:[آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ...][7] دلالة على أن المال لله وأنهم خلفاء عليه، وأنه في أيديهم كالأمانة فى يد الخازن، وأنه ليس للإنسان منه إلاّ ما يقيم حياته، والسين والتاء فى "مستخلفين" للمبالغة فى حصول الفعل، وتوحي الكلمة إلى الحثّ على الإنفاق.

قد وردت الأسماء الحسنى فى الصيغ المبالغة كثيرا فى المسبحات دالاً على كشف صفات الله، ومنها اسم الأعظم "القدير" فى قوله: [لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][8] مبالغة فى القادر لأنها جاءت على وزن (فعيل) من صيغ المبالغة، أى وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور.[9]

وورد بناءآخر للمبالغة فى قوله: [وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][10] "الحكيم" فيه إشارة إلى حكمته وإلى أهمية وجود القوة، والعقل والفهم لأن المؤمنين هنا أمام معركة عسكرية ومعركة حاسمة ومع ذلك سوف تلاحظ أنهم لم يستخدموا السلاح إلاّ قليلاً، رغم ذلك تحقق لهم "الانتصار" وكأنّ هذا تعليم للمؤمنين؛ لأن الله تعالى بأسمائه الحسنى يعلَمنا التخلق بالأخلاق الفاضلة، ويعلَمنا أن نكون أعزاء وأقوياء، وأن نكون حكماء، وأنّ القوة من غير حكمة ترتد على صاحبها، وأنّ الحكمة من غير قوة قد تكون ذلاً وهواناً.

3– المناسبة فى استخدام الجمع: يستوفى استخدام الجمع استيفاءً كاملا فى السور بالأغراض الخاصة في جميع مواضع على نحو ما ورد عن الذين جحدوا بوحدانية الله وكذبوا بآياته أولئك هم المخلدون فى جهنم في قوله: [....وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ][11] قال البيضاوى:....أن الخلود فى النار مخصوص بالكفار، من حيث أن الصيغة تشعر بالاختصاص"أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" والصحبة تدل على الملازمة[12] لذا وردت كلمة "أصحاب" أى هم يكون سكّان الجهنم. يوضح إذن أنّ كيف أدت

صياغة الجمع هذه الدلالة أداء تامّا! وانطلق كلمة "السماوات" بصيغة الجمع فى قوله تعالى:[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][13] يدل صيغة الجمع هناعلى سعة العظمة والكثرة وحيث أريد الجهة به أتى بصيغة الإفراد كقوله:[أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ][14] وكذلك نرى الجمع (ظلمات) مع ذكر المفرد (نور) فى قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ][15] حيث يجمع القرآن دائماً الظلمات ويُفرد النور لأن الظلمات مصادرها متعددة أما النور مفرد وليس له إلا سبيل واحد وهو الطريق النازل من السماء. ليس هناك هداية على الحقيقة إلا ما جاءت به الرسل. أما الظلمات متعددة الشيطان والنفس وغيرها، لذلك الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يجمع الظلمات في القرآن ويفرد النور.[16]

4– دلالة الزمن: كل فعل يحتوى معنى الزمن فى داخله كما الماضي والمضارع والكلام الذى يبدأ بالفعل المضارع تدل على الاستقبال وعلى التجدد والحدوث[17] والاستمرار تناسب المضارع لأنه يدل على الحال والاستقبال والحركة على نحو: تبدأ سورة الجمعة والتغابن بفعل "يسبّح" فى قوله:[يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..][18] وفيها الإيمانيات والإيمان تتجدد وتستمر وحالة المؤمن تتغيّر حسب حالة الإيمان له أى تقل وتزيد.

ولاحظنا دلالة الزمن(سبّح) فى المسبَحات وبدأت السورة بفعل ماضى، لأن السورة تتكلم عن أمر مضى وانقضى وحدث، اختيار الماضى هنا وهو نصر الله تعالى للمؤمنين، وهزيمة بنى النضير اليهود المحاربين، فهى تتكلم عن نعمة وقعت وانتهت، ولهذا بدأت بتسبيح فقال سبحانه: [سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][19] وهنا نقطة لطيفة أخرى أن كل سورة تبدأ بـ (سبّح) بالفعل الماضى لابد أن يجرى فيها للقتال فى كل القرآن والمبدوء بـ (يسبّح) ليس فيها ذكر للقتال أبداً. كما سورة الصف تبدأ بـ (سبّح) وفيها الحكم: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ][20] وكذا فى الحديد كانت بداية بـ (سبّح) وبعدها جاء الحكم: [...لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً...][21] هذا توجيه للناس فى الحاضر والمستقبل أن يتركوا القتال، أن لا يقاتلوا، ويعيشوا حياتهم، ينصرفوا إلى التعاون وما هو أنفع وما هو خير، كأنه توجيه لعباده. الرابط بين القتال والتسبيح: التنزيه عما لا يليق والقتال لا يليق كما قالت الملائكة: [قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...[22]][23]

تمتاز ألفاظ القرآن الكريم بأنها لبّ الكلام وزبدتها[24] ولكل منهما موضعه الذى لايصلح له الآخر، وتجئ فى مكانها المناسب كأنما وجدت لهذا المكان، والعسير أن نستغنى عنها بكلمة أخرى والغاية من دقة الوضع،

هى دقة الوضوح كقول عزوجل: [يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ][25] ونراعى وظيفة المضارعة "يولج" هنا حيث وردت الآية فى سياق"جامعة بين قدرته فى الكون وعلمه بدقائق ما فى الصدور"، والتعبير بالمضارع فيه دلالة التجدد أى سبحانه يستمر العمل الإدخال والخروج فى الكون حسب حكمته. ووردت الجملة الثانية بالاسمية: (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) دلالة ثباتها ودوامها.

5– دلالة فعل معروف ومجهول: وجدت هذه الظاهرة فى المسبّحات فى حين الآيات يصرف الحدث عن محدثه' فلا يسنده إليه، وإنما يأتى به مبنياً للمجهول، أو مسنداً إلى غير فاعله على المطاوعة أو المجاز.وقد ورد المجهول في قوله: [...وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ...][26] والسر البيانى هو أن البناء المجهول (ضُرِبَ) جاء"لإفادة أن الضرب كان في غاية السرعة والسهولة،...ولما كان المقصود أن ضربه كان في غاية السرعة، لم يوقع الفعل وأتى بالفاء ليفيد أنه كان كأنه عصاً ضربت به الأرض ضربة واحدة[27]

وكذلك نري استخدام الكلمات (يلج، يَخرُج، يَنزِل، يَعرُج) فى الآية: [هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ][28] معروفة وما جاءت مجهولة والسبب فيها أن سبحانه تعالى لما قال (يلج) أى يدخل فهذا يدلّ على علمه وقدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل.هو ما قال يعلم ما يولِج لأنه قطعاً هو يولج فهو يعلم ما يفعل– من حيث العلم عادةً الشخص الفرد يعلم ما يفعله هو– ولو قال "يُولِج" لكان طبيعياً أنه يعلم ما يفعله هو وما يولجه هو، هذه قدرته وهذا علمه أى "يلج"[29] ولكنه قال (يلج) بدل (يُولِج) هذا يدلّ على العلم[30]. وقال (وما يخرج) وما قال (ومايُخرِج)، وقال (وما ينزل) ما قال (وما يُنْزِل)، وقال (وما يَعرج) وما قال (وما يُعْرِج) وهذا على يدل على العلم فقال ما يدل على العلم.

المبحث الثاني:– الخصائص الدلالية المشتركة فى المسبّحات

1– أسلوب الاستفهام: كثرت أسلوب الاستفهام فى المسبحات حين تؤدى دلالة أصلية كما تؤدى الدلالة الفرعية، ونجد فى سورة الحديد مجموعة أسلوب الاستفهام ومنها قوله: [وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ..][31] و(مالكم) استفهام إنكارى بمعنى أي شيئ استقر لكم من الثواب فى الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله وقد أخذ ميثاقكم[32] وذهب ابن عاشور إلى أن هذا الاستفهام مستعمل فى التوبيخ والتعجب[33]ومنها دلالة التعجب كما نسمع: [أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ...][34] الخطاب هنا للكفّار، والاستفهام فى– ألم– للتعجب أى أن أمرهم عجيب جائتهم الرسل بالبينات والبراهين والحجج ثم

كفروا وأمركم أيها الكفّار أعجب أن علمتم حالهم وما حل بهم من الوبال والعقوبة ومع ذلك تصرون على الكفر.[35]

2– أسلوب الأمر: الأمر وهو طلب الفعل بـ صيغة مخصوصة (افعل)[36] ومنه قوله تعالى: [اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا..][37] فعل الأمر هنا أمر حقيقي،لأنه ورد من الأعلى جل وعلا إلى الأدنى وهم البشر. وجاء تذكيراً وتنبيهاً إلى أن الحياة زائلة وفانية وعلى الإنسان أن يعتبر ويتعض ويعمل لدار الدائم.

3– أسلوب الحذف: والحذف هو صنو الذكر وقد ورد فى المسبحات غير موضع، ومنها قوله تعالى: [آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا..][38] فقال الله: (وأنفقوا) ولم يصرح ما هو المنفق قد يكون من المال أو الزرع، فحذفت هذه الأشياء، وصرّح بالانفاق، أى حذف مفعول "انفقوا" للمبالغة فى الحثّ على الانفاق، وعدم البخل بالمال[39] ، وقد يحذف المفعول ليفيد العموم فى قوله: [الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى.وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى][40] لأن المراد خلق كل شيء فسواه، وقدر كل شيء فهداه.

4– ظاهرة التكرار: التكرار لغة الإعادة، واصطلاحا إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسى الأول لطول العهد به، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه[41]. وقد تكون تكرار فى الكلمة وفى الجملة بحسب السياق الذي ترد فيه والغرض، هو كتاب هداية، وفيه تصريف الآيات كما قال سبحانه وتعالى: [....كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ][42] يأتى بها بصور شتى حتى تتردد في النفس وحتى تثبت في الذهن وحتى تثبت القلب يردد معانى هنا وهناك إضافة إلى الإعجاز فى التعبير، إختيار العبارات كل واحدة مناسبة فى مكانها. وقد يكون التكرار هو من أعذب الكلام في البلاغة[43]

وأحيانا التكرار يكون من أعذب الكلام فى موطنه وله فوائد كثيرة أخرى.. ووجدنا القرآن الكريم مليئا بهذا الأسلوب وكذا المسبّحات، فكررت الآية الأولى: [سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][44] بتنوع صيغه الصرفية بفعل الماضى(فى الحديد، والحشر، والصف) وبفعل المضارع (فى الجمعة والتغابن) إلى فعل الأمر(الأعلى)، والتكرار هذه تشير وتؤكد إلى ديمومة التسبيح من مخلوقات الله، أى هو كان مسبح أبداً فى الماضى ويكون مسبح أبداً فى المستقبل. وهذا الافتتاح بذكر التسبيح بذاته وبإيقاعاته يهزّ القلوب هزّاً، ويوقع فيها الهيبة والخشية، كما يوقع الغبة الحيّة فى الخلوص لله والالتجاء إليه، لأن التسبيح تنزيه الحق عن نقائض الإمكان والحدوث[45]

والتكرار قد ورد فى الحديد غير موضع، ولكن ليس تزييناً أو تجميلاً، ولكن لتوكيد أمر أو تأسيس معنى لأن كلام الله معجز بلفظه ومعناه، ومن أمثلة:

تكرار السموات والأرض:

تكرار(ما) مع الأفعال المضارع:

قد ورد فى قوله: [سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][46] ومرة يرد بقوله: [سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][47] كل الآيات بلا استثناء إذا كرر(ما) يعقب الآية بالكلام على أهل الأرض فى جميع مواطن القرآن فى آيات التسبيح كلها، إذا قال (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) يعقب الكلام لأهل الأرض وكذلك لاحظ فى سورة الحشر بدأ بتكرار "ما" فكان الكلام عن أهل الأرض أى قوله تعالى: [سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ][48] وانتهت السورة بقوله: [هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمشُ][49] هنا لم كرر(ما) لأنه لم يأت بعدها كلام على أهل الأرض وانتهت السورة. لذا نستطيع أن نقول أن القرآن تعبير فني مقصود كل كلمة، كل تعبير، كل ذكر، كل حذف قُصِد قصداً ولم يأت هكذا.

تكرار كلمة (يوم)

تكرار الضمير (هو)[50]

تكرار كلمة (أجر) فى سورة الحديد.

تكرار قصة موسى وعيسى عليهما السلام

تكرار مصدر(فَضْل) فى المسبّحات.

تكرار اسم الموصول (الذى) فى سورة الأعلى نحو: [الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى.وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى][51] وفى قوله: [الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى][52]

5– أسلوب التقديم والتأخير: قال السيوطى رحمه الله وأما أسباب التقديم وأسراره فى الكتاب العزيز عشرة أنواع:[53] ومنها ما جاء فى المسبّحات مناسبة لفظ من التقدم أو التأخر في قوله: [هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ][54] وكقوله:[...وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ..][55] المعنى: وظنوا أن حصونهم تمنعهم، ولكن النظم جاء بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم[56]؛ للدلالة على أنهم واثقين أشد الثقة بحصانة حصونهم، وأنهم فى عزة وقوة وقدرة على مواجهة المؤمنين.وكذا فى التغابن بقوله:[...لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][57] وقوله :{لَهُ الملك}: مبتدأٌ وخبرٌ. وقدَّمَ الخبر ليفيد اختصاصَ المُلْكِ والحمدِ بالله، إذ المُلْكُ والحمدُ لله حقيقةٌ[58]

ومنها قوله تعالى: [لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][59] حيث أفاد تقديم الجار والمجرور (له) هنا على أنه لا مُلك لأحد سواه على الحقيقة. وهذا حصراً، لو قلنا (ملك السموات

والأرض له) هذا إخبار لكن لا ينفى أن يكون كما تقول فلان يملك وفلان لا يملك، لا يمنع أن يكون لأحد آخر ملك، ليس هو الملك الوحيد وقد يكون هناك مالكون آخرون تحت هذا الملك. لكن له الملك حصراً لا ملك إلاّ هو حصراً ليس لغيره والغرض للقصر هنا هو الحصر[60].

وكذا لدلالة الكثرة قدّم"كافر"هنا:[هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ...][61] وفى الأعلى ورد التقديم لدلالة السبق باعتبار الإنزال كقوله: [صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى][62] فصحف ابراهيم أنزلت قبل صحف موسى.

ومنها تقديم "السموات"على"الأرض" فى قوله تعالى: [سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][63] قدّم الله الذكر من الذين كان يسبح سابقاً من أهل الأرض أى "أهل السموات" أولاً، لأن أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، قبل أن خلق آدم فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، بمن هو أدوم تسبيحاً كقوله تعالى دالَ على ذلك حيث نسمع: [يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ][64]

وقوله: [فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ][65] فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم تسبيحاً، أدوم في هذه العبادة.[66]

ومن أغراض التقديم والتأخير قد يأتي لسبب والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور. إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل وإذا كان السياق فى غير العمل ويتكلم عن الإنسان فى غير عمل كالقلب أو السياق في أمور قلبية أو في صفات الله عزوجل يقدّم صفته.

من باب تقديم العمل نلاحظ التعبير (بما تعملون خبير) وفى آية أخرى يقول(إن الله خبير بما تعملون) فقدمت الجملة هنا (بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فى قوله تعالى: [وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ][67] وقوله: [فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ][68] إذا كان السياق هنا عن الإنفاق والقتال وهو عمل فقدّم العمل أمّا فى قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ][69] التقوى أمر قلبي، هذه القاعدة العامة إذا كان الكلام عن عمل الإنسان يقدم العمل على الخبرة وإذا كان الكلام عن أمر قلبي أو الكلام على سبحانه وتعالى يقدم الخبرة. كما نرى ليس فى الآية عمل فقدّم الخبرة لأن الكلام ليس على عمل الإنسان ولكن على صنع الله الذي أتقن كل شيئ.

ومن باب التقديم نجد مصدر "لهو" قدم على "لعب" حيث جاء كلام فى سياق تحقير الدنيا وتعظيم حال الآخرة فى الكتاب: [وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ

التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ][70] ومن الأوجه التقديم (لهو) نراعى وجه دلالي حيث كل الناس أو أكثرهم يلهون، فالفقراء والأغنياء يلهون، فكان اللهو أعم من التجارة، لأن فليس كل الناس يشغلون فى التجارة، فكان اللهو أعم فقدّمه لذلك وإذا كان حكمًا عامّا فى قوله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) فقدّم التجارة فى الحكم لأنها فى حادثة معينة أى قدمت عير المدينة وكان النبىﷺ يخطب الجمعة، فانفض الناس إلى العير ولم يبق فى المسجد إلاّ اثنا عشر رجلا فأنزل الله قوله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا...) وقدّم اللهو فى الحكم العام لأنه أعم ولأنها مناسبة لقوله[71].

6- التخصيص في ألفاظ القرآن الكريم: القرآن الكريم له تخصصات فى الإستعمال أحيانا يخصص بعض المفردات بمعنىً معين ودلالة معينة بما يدل على القصد فى الإستعمال على نحو، العرب لغوياً يقولون الريح والرياح ويستعملون الريح للشرّ والرياح للخير، وكذا القاعدين فى القرآن تستخدم قاعدين عن الجهاد مع أن القعود هو ضد القيام لكن القرآن خصصها هكذا. ونحو نجد سمّاع وسميع فى القرآن: سمّاع استعملها فى الذّم [سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ...][72] وقوله:[...وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ][73] وسميع استعملها تعالى لنفسه (والله سميع عليم) واستعملها في الثناءعلى الإنسان [إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا][74] وسمّاع لم يستعملها إلاّ في الذم[75]. إذن القرآن يخصص فى الإستعمال.

ومن أنماط إختيار المفردات فى قوله تعالى: [....يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ][76] حيث اختار الله بالنسبة للأرض الكلمة (يلج ويخرج) وفى السماء (ينزل ويعرج) أى فى الأرض قال (ما يلج) وفى السماء قال (وما ينزل) وكلاهما نزول إلى أسفل (مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) إنزال ودخول. هذه ما يلج في الأرض فيها وكثير مما ينزل من السماء هو يلج فى الأرض من مطر وغيره. ثم قال(وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) و (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) وكلاهما إرتفاع وعلو. إذن من الناحية الفنية ليست مناسبة فقط في إختيار المفردة هنا بل في الصورة: ما يلج وما ينزل، وما يخرج وما يعرج وذكرنا أن كثيراً مما ينزل قد يلج فى الأرض وكثيراً مما يخرج يعرج إلى السماء: (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) فيها احتمالين ما يخرج منها من الحشرات والنبات أو ما يخرج من محيطها. هذه الفكرة العامة عن الآية.[77]

وكما نرى فى إختيار الكلمة (يلج) عكس(دخل)فى قوله: [يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ][78] حيث كلمة "دخل" أوسع وتستعمل في أشياء كثيرة عكس (ولج) نحو: [فَادْخُلِي فِي عِبَادِي.وَادْخُلِي جَنَّتِي][79] كأنما الولوج في شيئ يحتاج إلى ضيق والدخول أوسع. والولوج الأشياء بضيق فى الأرض واضح هنا.

والسرّ في إتيان الصيغة اسم الفاعل (عالم) عكس الصيغة "فعيل" أى(عليم) هو أن"عالم" أبلغ من "عليم" بسبب أن عالماً اسم فاعل من (عَلِمَ) وهو متعدّ، وأن عليما اسم فاعل من (علُم) إلاّ أنّه أشبه وزن الفعل القاصر، نحو شرُف فهو شريف، وكرُم فهو كريم[80] وكذلك لم ترد الكلمة إلاّ فى "عالم الغيب" مفرداً أو "الغيب والشهادة"، وكلمة "عالم" فى القرآن لم ترد فى 14 موضعا بمعنى آخر[81]. مقترنة بالغيب على نحو: [عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا][82] أو بالغيب والشهادة نحو [وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ][83] أو لم تقترن "عالم" اسم فاعل لا يدل على التكثير عادة فاستعملها بالمفرد الذي لا يدلّ على التكثير.[84]

وعلى هذا النمط بوزن "فعيل" جاءت اللفظة "عليم" في قوله: [هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍعَلِيمٌ][85] وقوله [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ][86] والشاهد هنا "العليم" بزنة فعيل وهي من أبنية المبالغة ووردت بمعنى الصفة من صفات الله والمراد بالعليم: "العلم إدراك الشيء بحقيقته"[3] كقوله: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أى لاَ يعزُبُ عنْ علمِه شيءٌ منَ الظَّاهرِ وَالخفيّ[87]

وكقوله فى ثناء أنصار المدينة: [وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...][88] موضع الشاهد لفظة (تبوّأ) معناها إتخاذ المكان منزلاً، واتخاذ المباءة وهي البُقعة التي يَبوء إليها صاحبها، أي يرجع إليها بعد انتشاره في أعماله،[89] لكن الفعل هنا ضمن الإيمان والإيمان ليس مكانا يتبوّأ فيه، فكيف قوله هذا(تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ)؟؟

فنلجأ إلى دقة اختيار الكلمة ونرى أنه على ظاهره بغير إضمار حيث قيل عن بعض، فيه إضمار تقديره: وأخلصوا الإيمان- ولكنه ورد مجازا، فمعناه أنهم جعلوا الإيمان مستقرا وموطنا لتمكنهم منه واستقامتهم عليه، كما جعلوا دار الهجرة كذلك وهى المدينة.

وكذا نجد الدقة فى اختيار قوله: [وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا..][90] اللفظة (انْفَضُّوا) مختارة قوية بجرسها، وما تملكه من الإيحاء، ولقد اختيرت دون الألفاظ الأخرى، لتوحى بأن نفروا متفرقين من العجلة[91]، لأن الانفضاض، معناه: كسر الشيء والتفريق بين أجزائه[92] وتضعيف عليها توحى إلى شدة رغبة المسلمين إلى هذه البعير وتكثر فى دلالة التفرقهم.

وبالاضافة قد تكون الكلمة القرآنية دقيقا فى الوصف والمعنى كما تكون دقيقا فى التناسق أيضا، نحو قوله: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ][93] فكلمة (بنيان) جاءت ما يعرفه الناس، فهم يبنون بيوتهم بطرق معلومة حيث يضعون الحجارة بعضها فوق بعض، وعندما كان الحديث

عن الصّف، استخدم كلمة البنيان، لأن بنيان الشئ تكون مركب بأسسه وعموده مع سقفه وصار ممتزج ومتنسق كوحدة واحدة، وهذا النوع من التلاصق كان المطلوب من الله جل وعز لذا آتى بكلمة التى تصوّر تصويراً حقيقيا.

ومجئ كلمة (غرور) فى مشهد القيامة بينما يجرى الحوار بين المؤمنين والمنافقين كأخبرنا الله: [يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ][94] وموطن الشاهد هنا لفظة "غرور" وتعنى به فى اللغة: جهل الأمور وغفل عنها، وفلانا غرا وغرورا أى خدعه وأطعمه بالباطل[95]، أم هنا مبالغة فى المتصف فى بالتغرير، والمراد به الشيطان، الذى يغرَ الناس من ولادتهم إلى اللحد[96]، وغرّ الشخص يغرّ من باب ضرب غرارة بالفتح فهو غارٌّ[97] وغرّكم الشيطان إذ هو الذى زيّن لكم الكفر وذكركم بعفو الله وعدم مؤاخذته لكم كما فسره ابن عاشور:أن الغرور على ميزان فعول، وهو من أسماء المبالغة، وكذلك الشيطان لأنه يغرى ابن آدم كثيراً[98] فرأينا أن كيف جاء سبحانه صفة "غرور" للشيطان دون اسمه أو بكلمة أخرى مناسبة مقتضى الآية ودلالتها.

وكذا نطلع على دقة تعبير الكلمة "المغفرة" و"كفّر" في الكلام: [يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ....][99] وقوله: [يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ][100] وفى قوله: [رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ][101] حيث يختص القرآن استخدام كل المفردة فى موقعها ونرى أن الذنوب أكبر من السيئات، السيئات صغائر والذنوب كبائر، تستعمل سيئة وقد تكون من اللمم، أنت تقول أسأت إلى فلان ولا تقول له أذنبت معه. فالسيئة قد تقال لصغائر الذنوب والذنوب ما هو اكبر. هذا يقتضى التغيير فى المغفرة والتكفير.

يقولون أن التكفيرأصلاً ستر. فَرَ الشيئ أى ستره ومأخوذ أصلاً من الزرع فالزراع يسمونه الكافر لأنه يستر البذرة في الأرض، كفرها أى سترها. الكافر فى الشريعة هو الذى خرج عن الملة هذا فى الإصطلاح وفى اللغة يعني ستر.

والمغفرة من المِغْفَر وهو الذى يُلبس فى الحرب حتى يمنع السِهام. الليل يستر لكن لا يمنع سهما أو إصابة وإنما يستر على العموم لكن لو جاءت ضربة لا تمنع أما المغفرة يمنع. فلما كان الذنب أكبر فهو يحتاج إلى مانع أكبر لذا قال معه مغفرة لأن الذنب أكبر، الذنب يصيب الإنسان إصابة كبيرة فيحتاج إلى مغفرة

كما يحتاج المِغْفَر فى الحرب. لما كان الذنب أكبر إحتاج لمانع أكبر ولمغفرة أشدّ. كفر ستر قد تكون بدون منع أو قد تكون بمانع خفيف لذا قال (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا).[102]

ومن أنماطها لفظة (عبد) الوارد فى قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ][103] واختير هنا كلمة "عبد" وأضافه إلى ضميره وهذا فيه تكريمان: الأول: إختيار كلمة "عبد" لأن الله تعالى فى القرآن الكريم لما يذكر(عبد) يذكره في مقام التكريم لأن العبودية نوعان فى القرآن: العبودية الإختيارية والعبودية القسرية. العبودية الإختيارية هي أن الإنسان يختار أن يكون عبداً لله ومطيعاً له وبهذا يتفاضل المؤمنون. ففى مقام مدح نوح عليه السلام قال تعالى: [ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا][104] أثنى على نوح وصفه بالعبودية. وقال تعالى: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...][105] وصفه بالعبودية وقوله تعالى: [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا][106] أما العبودية القسرية فليس فيها فضل لأنه رغم عن الإنسان نحن كلنا عباد الله شئنا أم أبينا نحو قوله تعالى: [إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا] عبادة قسرية رغماً عنا، الله يرزقنا ويختار لنا المكان الذى نولد فيه ويختار الأبوبن ويعطينا إمكانيات ونعيش في السنن التى وضعها لا نتجاوزها هذه عبادة قسرية شئنا أم أبينا ليس فيها فضل وكل الناس هكذا [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ][107] هذه عبودية قسرية ليس فيها فضل وقمة العبودية هى العبودية الإختيارية وحتى الأنبياء يتفاضلون في عبوديتهم لله سبحانه وتعالى [وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ][108].

فكلمة عبد وسام للشخص من الله تعالى فإذا أضافها إلى ضميره (عبده) نسبه إليه إذن فيها تكريمان لأنه لما ينتسب العبد إلى الله تعالى يكون في حمايته. فقال تعالى (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ...) فيها ثلاث تكريمات: هو الذى ينزل على عبده لا غيره، وعبده، وآيات بينات.لماذا؟ ليخرجكم من الظلمات إلى النور، إذن هو الذى ينزل ويخرجكم من الظلمات. وكلمة (عبده) المقصود بها رسول الله ﷺ ووصف الآيات بأنها بيّنات ظاهرات بحجة والدلالة واضحة.آيات مقصود بها القرآن الكريم.[109]

وكذا بالنسبة للفعل (أقرض) و(قَرْض) الواردان فى قوله تعالى: [إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ][110] وفى قوله: [مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ][111] يُقْرِضُ، هذا الفعل مبني للمعلوم ماضيه "أقرض" وهو فعل رباعى فإن مجرده(قرض) يدل على اللزوم وبزيادة الهمزة أصبح متعديا[112]، لكن فى الآية لم يقل إقراضاً ولم يأت بمصدره وإنما جاء بمصدر الثلاثي(قَرْض). القرض له دلالتان في اللغة: الإقراض والمال الذي يُقرض تحديداً ما تعطيه من المال. إذن

الإقراض؛ له دلالة واحدة هو الإعطاء والقرض له دلالتان: المصدرعن الإقراض والمال، إذن أوسع وهودلالة المال مع الإقراض.

والله تعالى سمّاها إقراضاً وليس صدقة، الإقراض غير الصدقة لأن الصدقة لا تطالب بها لكن لما تقول أقرض فسوف يعيد المال له، وهذا تهوين على المقْرِض أكثر من الصدقة. تقرض الله تعالى بنية القرض هنا ووعد الله بأن يعيده عليك مضاعفة بقوله هذا (يُضَاعِفْهُ لَكُمْ) وسمّاها قرض حتى يهونها على المنفقين لأن من شروط القرض أن يعاد إلى صاحبه أما الصدقات فلا تعاد (إنما الصدقات للفقراء والمساكين). (فيضاعفه له) أى للمنفق، وعد الله تعالى بشيئين: المضاعفة والأجر الكريم وهو الأجر الحسن البالغ الجودة.[113]

وحينما ندق فى آيتين فنطلع على أن مرة ذكر (أجر كريم) ومرة أخرى قال (أَجْرٌ كَبِيرٌ) فى الآية:[مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ][114] وفى قوله:[آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ][115] وسببه أن الآية التى قال فيها أجر كبير(....وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) ذكر أمرين الإيمان والإنفاق وهنا ذكر الإنفاق فقط (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ)، ذكر الإيمان والإنفاق في الأولى وهذه دائرة أوسع فلما اتسعت الدائرة إتسع الأجر فقال (أجر كبير) أي متسع. كل أجرٍ له دلالة. الأجر الكبير يحوي الكريم لكن من حيث الكمّ هو أكبر لأنه ذكر أمرين: الإيمان والإنفاق، إتسعت فصار أكبر.[116] ومن الشواهد:

ما وردت فى الحديد: أجر – قرض– يلِج– يعْرُج – مستخلفين – يُقْرض – نَقْتبس – فضُرِب — تربّصتم– المصّدّقين والمصّدّقات – الحديد– قفّينا– كِفْلَين– مغفرة

وفى الحشر: أوجفتم– تبوّأ – حآجة– خصاصة– يُوْق– شُحّ–غِلاً– أشدّ– مُحصّنة – شتّى– لِغدَا–مُتصَدّعا

فى الصف: مقتًا – بنيان — مرصوص– صفّا – ليُطفؤا – تجارةً – أنصارالله

فى الجمعة: أميين — حمار– هادوا– تَفِرُّون– فاسعوا – انفضّوا

فى التغابن: بَشَر– زعم — يُكفِّر– يوم التغَابن – فاحذروهم

وفى الأعلى: سوّى — قدّر– الأشقى

7– الترادف: الأصل في الألفاظ أن يختص كل لفظ بمعنى معين، لكن اللغة في كثير من جوانبها لها منطق خاص يبدو في أكثر الأحيان على جانب كبير من الغرابة ويتجلى هذا في مجال الألفاظ ودلالتها حيث تجعل اللفظ الواحد أكثر من معنى وللمعنى الواحد أكثر من لفظ.[117] وقد أشار إليه ابن جني[118]. ومثل له بالطبيعة والغريزة والنقية والضريبة والسجية والطريقة والسليقة[119] وللترادف أثره الإيجابي في

الاستخدام اللغوي، فهو يساعد على إظهار ألوان المعاني وظلالها. ومن مواضع المترادف اللفظي في المسبّحات:

فى الحديد:(لعب ولهو) و(رأفة ورحمة) و(جهنم والنار) و(بعث وأرسل) و(ماواكم ومولى)

وفى الحشر:(المهاجر والذين أخرجوا من ديارهم) و(اسمعوا وأطيعوا)و(الخالق والبارئ والمصوّر) و(جاء وأتى)

وفى الصف: (نصر وفتح)

وفى التغابن: (يوم الجمع ويوم التغابن) و(تعفوا وتصفحوا وتغفروا) و(كفروا وتولّوا)

وفى الأعلى: (سوّى وقدّر)

وكذا نطلع على لفظتين (رأفة ورحمة) فى قوله:[هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ][120] أى يلطف بكم من حيثُ لا تعلمون ، ويمهّد لكم سبيلَ الخير من حيث لا تحتسبون[121] وهما (رأفة ورحمة) صفتان للربّ والرأفة أخصّ من الرحمة وهي عامة. الرأفة مخصوصة بدفع المكروه وإزالة الضرر كما أشير إليه: "من أمثلة المبالغة في الاتصاف بالرأفة وهي كراهية إصابة الغير بضر"[122] والرحمة عامة نحو قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ][123]وقوله:[فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا][124] ليست مخصوصة بدفع مكروه وكقول الطنطاوى: أى الرحمة "مبالغة فى الاتصاف بصفة الرحمة. ومعناه: محبة إيصال الخير والنفع إلى الغير[125]. وأنت تقول أنا أراف به عندما يكون وتوقعاً أن يقع عليه الشيئ.

الرحمة عامة فيه نلاحظ قوله:[...وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ][126] فالرحمة أعمّ من الرأفة. عندما نقول في الدعاء يا رحمن ارحمنا هذه عامة أى ينزل علينا من الخير ما يشاء ويرفع عنا من الضرر ما يشاء ويسر لنا سبل الخير عامة. ففى الآية ما هى الرأفة والرحمة؟ يقول تعالى ذكره: وإن الله بإنزاله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البيّنات لهدايتكم، وتبصيركم الرشاد، لذو رأفة بكم ورحمة، فمن رأفته ورحمته بكم فعل ذلك[127]

8– الأضداد: والمراد بالأضداد وجود لفظين يختلفان لفظًا ويتضادان معنًا كالقصير في مقابل الطويل والجميل في مقابل القبيح.[128] ومنها قوله تعالى: [يُحْيِي وَيُمِيتُ][129] و[الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ][130] فجميع كلمات هذه تدل على صفات رب عزوجل حيث هو البدء وهو النهاءهو اليُرى وهو المخفى أى فى كل ذرة وجوده موجود. أمّا النسج بهذا الأسلوب للأضداد رائعا جدّا يثير شعور القارئ إلى حضرته. وفي المسبّحات مواضع عديدة تشتمل على تضاد اللفظية، ومنها:

فى الحديد: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و(يحيي ويميت) و(الأول والآخر) و(الظاهر والباطن) و(يلج ويخرج) و(ينزل ويعرج) و(الظلمات والنور) و(رحمة وعذاب) و(تخشى وقست) و(تأسوا وتفرحوا) و(فاتكم وآتاكم)[131]

وفى الحشر من مظاهر التضاد: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و(قطع وقائم) و(آتاكم و نهاكم) و(يؤثرون و شحّ) و(جميعا وشتّى) و(الناروالجنّة) و(الغيب والشهادة)[132]

وفى الصف: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و(تقولون ومالاتفعلون) و(كافرون ومؤمنون) و(آمنت وكفرت)[133]

وفى الجمعة: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و(الغيب والشهادة)[134]

وفى التغابن:(السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و(كافر ومؤمن) و(تسرون وتعلنون) و(الغيب والشهادة)[135]

وفى الأعلى: (لايَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى) و(الجهر وما يخفى) و(يخشى وأشقى) و(قرأ وتنسى)[136] ومنها ما يشترك أكثر من بعض:

كافر ومؤمن

الظاهر والباطن

الغيب والشهادة.

أى الكافر والمؤمن الكفر والإيمان، صورتان متقابلتان لنمطين من السلوك والبشر. فجزاء الكفر النار، وجزاء الإيمان الجنة. وكلاهما من مظاهر قدرة الله وملكه. وقد أوردت السور واقع الكافرين وسوء مآلهم في الآخرة، وما أعد لهم من عذاب وأوردت المؤمنين وصفاتهم ومآلهم وما أعد لهم من نعيم، جزاء لإيمانهم وتسبيحهم باسم الله فما من وجه من الوجوه البلاغية إلا ويؤول في منتهاه إلى ما ابتدأت به السور.

والغيب والشهادة وصف الله نفسه بأنه عالم الغيب والشهادة فلا يتصف بهذا سواه. فهو عالم الغيب على الإطلاق فما من أمر لم ينجل في زمنه إلا ولله به علم قبل أن ينجلي مجرد من الزمن، فالله لا يحده زمن ولا يحد علمه زمن لاحق أو سابق. فهو ليس بحادث والخلق ليس كذلك. فلا يعلمون بالحدث إلا في زمن مخصوص على وجه مخصوص. وعلمهم حادث. فرغم اشتراك الخلق والخالق في لفظ العلم إلا أن ماهيتا العلمين غير متماثلتين. والله يعلم الشهادة، وهي كل أم مشهود.وتطلق لفظ الشهادة على الدنيا والغيب على الآخرة. فالدنيا مشهودة من الناس، والآخرة مغيبة عنهم. وعلم الغيب والشهادة من خصوصيات الله تعالى لا يشاركه فيهما أحدوهما من مقتضيات الملك. وهذا من أوجه الدلالة الرائعة.

9– الوحدة الموضوعية بين المسبَحات: المراد بالوحدة الموضوعية[137] وحدة الهدف والفكرة فى السورة، وترابط المعانى بعضها ببعض يجعل السورة كلها وحدة واحدة وموضوعاً كلياً واحداً[138] وأرى أن

الوحدة هذه فى المسبحات هى: الحديث عن الإيمان بالله بإخلاص والثبيت عليه بالعمل، وبالإنفاق وبالجهاد فى سبيل الله. وذكرت اليهود فى الحشر والصف والجمعة وهى سور مدنية ويتجلى بالنظر إلى موضوعات الأساسية للسور جميعا:

الموضوعات الأساسية فى الحديد: تناولت الحديد ثلاثة مواضيع رئيسية وهى:1- أن الكون كله لله عزوجل، هو خالقه ومبدعه، والمتصرف فيه بما يشاء.2- وجوب التضحية بالنفس والنفيس لإعزاز دين الله، ورفع منار الإسلام.3- تصوير حقيقة الدنيا بما فيها من بهرج ومتاعٍ خادع حتى لا يغتر بها الإنسان. ابتدأت السورة بالحديث عن عظمة الخالق ثم ذكرت صفات الله الحسنى وتلتها تدعو المسلمين إلى البذل والسخاء والإنفاق وتحدثت السورة عن أهل الإيمان وأهل النفاق، وعن حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، وختمت بالغاية من بعثة الرسل والأمر بتقوى الله والاقتداء بهدي رسله وأنبيائه.[139]

الموضوعات الأساسية فى الحشر: تنزيه الله لنفسه عن كل نقص. وكذا نجد لأعدائه ذكر غلبة الله ورسوله. وفيها أحكام تقسيم الفئ الذى أخذ من بنى النضير مع ذكر المصارف وأخلاق المنافقين المضلين، وأهل الكتاب. وذكر نصائح للمؤمنين. وإعظام شأن القرآن وإجلال قدره. وصف الله نفسه بأوصاف الجلال والكمال.

الموضوعات الأساسية فى التغابن: ومن تلك الموضوعات، أولا تتحدث عن يوم التغابن، يوم يظهر"غبن كل كافر بتركه الإيمان "وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الإحسان"[140] يدور السورة حولها، فهى تبدأ بتسبيح كل من فى السموات والأرض لله، وتقرير الملك والحمد له سبحانه، ثم تصرّح عن الخلق، وهو من أخص شؤون الربوبية، وتقترن بذلك الحديث عن خلق الناس، ومنهم الكافر والمؤمن. ثم تحدثت عن خلق السموات والأرض، وتلفت إلى مواقف الكافرين السابقين، ثم تأتى بيان زعم الذين كفروا فى البعث، والردّ عليهم بالقسم، وإثبات الجزاء المستتبع للبعث، وتختم السورة بحث المؤمنين على إتباع أمر الله ورسوله، والتوكل عليه سبحانه، والحث على عدم اتباع الشهوات والتحذير من فتنة الأموال والأولاد، والأمر بالإنفاق والحثَ عليه، وبيان شكر الله لعباده على ذلك، ثم التصريح باطلاعه سبحانه على الغيب، وكل هذه الأمور ذات صلة وثيقة بمعنى الربوبية.

الموضوعات الأساسية فى الأعلى: من السور المكية، وهى تعالج باختصار المواضيع الآتية:

1 – الذات العلية وبعض صفات الله جل وعلا، والدلائل على القدرة والوحدانية.

2 – الوحى والقرآن المنزّل على خاتم الرسل ﷺ وتيسير حفظه عليه ﷺ.

3 – الموعظة الحسنة التى ينتفع بها أهل القلوب الحيّة، ويستفيد منها أهل السعادة والايمان. وختمت السورة ببيان فوز من طهّر نفسه من الذنوب والآثام وزكاها بصالح الأعمال.[141]

ابتدأت السورة بتنزيه الله تعالى، ثم تحدثت عن الوحى والقرآن، ثم أمرت بالتذكير بهذا القرآن.

10– تشابه الفواصل: الفواصل جمع فاصلة، وهى الكلمة فى آخر الآية القرآنية، وقد يطلق على الحروف الأواخر من السورة القرآنية، وأحكمت مع الآية إحكاما إيقاعياً، بحيث تتسق نغميا مع سياق الآية[142]،

وعنى بعض الأسلاف من المفسرين والبلاغيين[143] ببيان المناسبة بين الفاصلة فى الآية والمعنى أو المعانى السابقة، على نحو آية التغابن: [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ][144] فإن كلمة "عليم" تناسب أول الآية، لأن ما أصاب المصيبة المرء والامتحان بها والذى يثبت على هذا الابتلاء الله يرى كل شيئ وهو يعلم وفيه زيادة التثبيت للمؤمنين حيث هو يعلم حالكم وظروفكم وهو ينجيكم منها. وطلعت عليّ فواصل المسبحات هى: النون الميم والراء نحو: (...وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[145] وقوله:(...رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[146]و قوله:(...فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[147] المشتركة فى المسبحات عدا سورة الأعلى، فاصلة هذه السورة هى"الياء"مثلاً: (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى)[148].

وفى أربع سور المسبحات (الحديد –الحشر–الصف–الجمعة) تختم الآية الأولى بالفاصلة نفسها "العزيز الحكيم" وقد يأتى هذه الفوصل على زنة "فعيل" فى معظم السور عدا الأعلى التى بنيت على صيغة "فَعْلى" ومتضمنة بأسماء الحسنى مساعدا فى تكوين الجوّ التسبيح والتنزيه لله جل وعلا.

11– الأسماء الحسنى الواردة فى المسبَحات: ومن الأسماء الحسنى المشتركة فى المسبَحات هى: العزيز الحكيم، القدير، العليم، عالم الغيب والشهادة، البصير، الرحيم، الخبير، العظيم، غير"الأعلى" وهى تحتوى على اسم واحد من الأسماء الحسنى وهى: "الأعلى". ويكثر ذكر أسماء عزوجل فى المسبَحات غير سور الأخرى فى جميع القرآن والسرّ هو أن بعد ذكر مطالع التسبيحات وذكر صفات عزوجل توسع أذهان والشعور ثم جاء بذكر ما كان تريد أن نتبئهم اليه. الأخلاص فى الإيمان بالله والرسولﷺ والإنفاق فى سبيله فى حالة الفقر والبأس. وكذا الجهاد فى سبيل الله ما كانوا أمور ليّنة وسهلة ولذا جاء سبحانه بذكر صفاته للتذكير إلى قدره وعظمته وإلى الجزاء العظيم الدائمى إلى المؤمنين لكئ تكون الأمور سهلة عليهم[149]

وقد نراعى اسم من أسماء الحسنى "قدير" فى قوله: [لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][150] ووجه اختيار الصفة "قدير" عكس "قادر" مع أنه استخدم قادر فى مواطن أخرى في القرآن لأن قدير من صيغ المبالغة على وزن فعيل، إذا عمم القدرة (وهو على كل شيئ) يستخدم (قدير)

وإذا قيّدها بشيئ يقول (قادر) على نحو نسمع كلام الله: [وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ][151] قيّدت بإنزال آية، [قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ....][152] قيدت بالعذاب، إذا قيدها يقول قادر لأنه اسم فاعل وليس مبالغة، فإذن حيث أطلقها –كما فى قوله: [وهو العليم القدير] أى قادر على كل شيئ– يأتى بصيغة المبالغة، وحيث عممها بكل شيئ يأتى بصيغة المبالغة، وحيث قيّدها بإسم الفاعل، هذا الفارق الدلالى بين اسم الفاعل وبين صيغ المبالغة التى تدلّ على كثرة[153].

وتجدر الذكر من الأسماء الحسنى"الأول والآخر الظاهر والباطن" الواردة فى قوله: [هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ][154] ووجهة النظر فى التعريف هذه الأسماء هو"القصر" أي أنه لا يشاركه في هذه الصفات أحد يعنى ليس معه أول ولو قال هو "أول" يحتمل أن يشاركه أحد أما "الأول" فهى حصر، تحديداً و(الآخر) تحديداً والظاهر إذن لا يشاركه في هذه الصفات أحد ولا شيئ.

والأمر الآخر أنه لم يقيّد هذه الصفات بشئ لا بإضافة ولا وصف فلم يقل مثلاً هو أول الحكماء، أول الأغنياء...وغير ذلك. هذه مطلقة لم يقيدها بشئ إذن هو الأول على الأطلاق ليس بموجب شيئ معين ولا مقيد بأمر معين، هو الأول. وكذا تخرج من نطاق الزمن أيضا أى فهو سبحانه كان قبل الزمن و(الآخر) يعنى يكون بعد الزمن. هنا فى هذه الآية ليس من قرينة تحدد، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن على الأطلاق وعلى القصر والتعريف هنا يفيد القصر وعدم التقييد يفيد الإطلاق.[155]

ونقطة أخرى لطيفة أن العطف بين الصفات تفيد التقاريب ين الصفات المتباعدة، أى يأتى فى الصفات فيما تباعد من الصفات لأنه يصير أمراً مستغرباً، أما فى الصفات القريبة فلا يأتى بالعطف على نحو فى (العزيز الحكيم)[156] الأول والآخر والظاهر والباطن صفات متباعدة ليست مثل العزيز الحكيم المتقاربة العزة والحكم متقاربة لكن الأول والآخر منتهى التباعد والظاهر والباطن منتهى التباعد. ودلالة هذه الآية هى "إبطال الشرك" أى هو "الأول" إذن ليس معه شريك إذن دلت على إبطال الشرك.ثم دل قوله (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) على العلم المطلق فهو الإله الحق في العلم والغنى والقدرة والوجود وعدم الشرك. وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ أى محيط علمه يكل شئ فى الكون.[157]

نجد أن المشترك اللفظى وتضاد وغيرها فى سياقات السور الدلالية كلها تنتهي إلى المعنى المركزي المتمثل في ابتدأ السور. فحاولت فى هذه الدراسة أن أبين هذه الظواهر محاولة كشف السرّ الكامن خلف اختيار تلك الظواهر دون غيرها ومحاولة كشف دور هذه الصيغ فى أداء المعنى وتغذية المعنى العام للمسبحات.

نتائج البحث: من الخصائص المشتركة بين السور"المسبحات" هي: أفعال المضعَفة التي تؤفى معانى المقام حسب السياق كما تؤدّى دلالة التكثير والتوكيد فى الكلام، والمشتقات تدل على مبالغة وحثَ على الإنفاق كما وجدت استخدام المصادرالثلاثية بكثرة منتشرة جوَ الشمول والإحاطة لأنها أبسط صور الألفاظ، وأيسر نطقا وأقوى في استيعاب معاني المسبحات، أما تستوفى استخدام الجموع استيفاءً كاملا فى السور بأغراضها الخاصة، نحو الإنفاق والجهاد وغيرها، ودلالة زمن فعل معروف ومجهول تظهر بها حاكمية ربَنا وهيمنته.

ومن الخصائص الدلالية، أسلوب الاستفهام يلد معني توبيخ وتعجب في السياق كما أسلوب الأمرتثيردلالة التذكير وتنبيه بأنَ الحياة زائلة وفانية. وظاهرة التكرارتدل على ديمومة التسبيح من خلق الله، واختيرت الألفاظ فى المسبحات التي بإيقاعاتها الصوتية توحي إلى دقة التعبير الكلمات كما تناسب حسب مقتضى الحال والمقام، أما أسلوب التقديم والتأخير والترادف والأضداد وأسلوب الحذف فلها جميعا أثر إيجابي في الاستخدام اللغوي، وهي تساعد على إظهار ألوان المعاني وعلى بيان نظم القرآني وظلالها الوحدة الموضوعية بين المسبَحات وهي الحديث عن الإيمان بالله بإخلاص والثبيت عليه بالعمل، وبالإنفاق وبالجهاد فى سبيل الله. وذكرت اليهود فيها، ونلاحظ فى أربع سور(الحديد—الحش–الصف–الجمعة) تختم الآية الأولى بالفاصلة نفسها "العزيز الحكيم" بزنة "فعيل" فى معظم السور عدا الأعلى بنيت بصيغة "فَعْلى" هذه الفواصل أحكمت مع الآية إحكاما إيقاعياً، بحيث تتسق نغميا مع سياق الآيات، والأسماءالحسنى فى المسبَحات هى: العزيز الحكيم، القدير، العليم، عالم الغيب والشهادة، البصير، الرحيم، الخبير، العظيم،"الأعلى" مساعدا فى تكوين جوّ التسبيح والتنزيه لله جل وعلا.

---

[1] وهى: الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، والأعلى.

[2] ورد ذكرها فى "البرهان فى علوم القرآن" فى باب الاستفتاح بالثناء الذي يتحقق بالتنزيه، وكما ذكر مصطلح المسبِّحات فى "الإتقان فى علوم القرآن" فى باب فيما ورد فى فضل سور بعينها مثل الحواميم، والمسبِّحات، انظر الإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى، ص:719، التحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة: مؤسسة الرسالة، دمشق–بيروت، ط–1:2008م.

[3] سورة الحشر، الآية: 24

[4] سورة الحديد، الآية:1 وانظر الآية:1 فى سورة الحشر والصف وبكلمة (يسبح) فى الجمعة وفى التغابن وكذا بفعل الأمر فى الأعلى (سبّح) بالتضعيف.

[5]السبعة: وهى الإسراء والحديد، والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

[6]الكشاف، عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، 490\6، الطبعة: مطبعة مصطفى الحلبى وأولاده – القاهرة، ط – 1: 1966م.

[7]سورة الحديد، الآية:7

سورة الحديد، الآية:2

[9]تفسير الطبرى، لـ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ،168\23، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: مؤسسة الرسالة، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،ط-1: 1421هـ-2000م.

[10]سورة الحشر، الآية:1

[11]سورة الحديد، الآية: 19

[12]تفسير البيضاوى، للبيضاوى،453\3، الطبعة: دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

[13]سورة الحشر، الآية:1

[14]سورة الملك، الآية:16

[15]السورة الحديد، الآية: 9

[16]لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، د.فاضل صالح السامرائي، ص: 112، الطبعة: دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط1: 1419هـ/1999م .

[17]مباحث فى علوم القرآن، لمنّاع القطان، ص:206، الطبعة: مؤسسة الرسالة،- بيروت،ط-71: 1990م-1411هـ.

[18]سورة التغابن، الآية:1

[19]سورة الحديد، الآية:1

[20]سورة الصف، الآية: 4

[21]سورة الحديد، الآية:10

[22]سورة البقرة، الآية:30

[23]لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د.فاضل صالح السامرائي، ص: 214

[24]المفردات فى غريب القرآن، ص:6، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، التحقيق: سيد كيلانى، الطباعة: دار المعرفة – بيروت– لبنان، بدون تاريخ.

[25]سورة الحديد، الآية:6

[26]سورة الحديد، الآية: 13

[27]نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 8\365، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الطبعة: دار الكتاب الإسلامى– القاهرة، ط: 1992م.

[28]السورة الحديد، الآية:4

[29] ومناسب بالآية السابقة حيث ختم السورة بالعلم بأى (وهو بكل شيئ عليم)

[3030]السورة الحديد، الآية:3

[31]سورة الحديد، الآية:8

[32]صفوة التفاسير،، سماحة الشيخ محمد علي الصابوني، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة – جامعة الملك عبد العزيز،3\35، الطبعة: مناهل العرفان، دمشق– بيروت، بدون تاريخ.

[33]التحرير والتنوير،14\386

[34]سورة التغابن، الآية:5

[35]انظر التفسير الوسيط القرآن الكريم، لمحمد سيد الطنطاوى، 1\4224، الطبعة: دار السعادة – مصر، بدون تاريخ.،

[36]معانى النحو، د. فاضل صالح السامرائى،4\26، الطبعة: دار الفكر– عمان، ط–5: 1432هـ.

[37]سورة الحديد، الآية:17

[38]سورة الحديد، الآية:7

[39]اعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحى الدين الدرويش،7\420،الطبعة: دار الإرشاد ـ سورية.

[40]سورة الأعلى، الآية:2-3

[41]البرهان فى علوم القرآن،3\8-10

[42]السورة الإعراف، الآية: 58

[43] حتى فى الشعر وفى غير الشعر

[44]سورة الحديد، الآية: 1، والحشر، والصف، والجمعة ، والتغابن و الأعلى، الآية:1

[45]انظر إلى معاجم للدلالة (سبح)، معجم العين،3 \151، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، التحقيق: مهدى المخزومي ود. ابراهيم السامرائي،الطبعة: مؤسسة دار الهجرة، ط-2: 1410هـ، وانظر تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى،2\46، التحقيق: أحمدعبد العليم البردونى، الطبعة: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط-: بدون تاريخ. لسان العرب،2\70، الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، 1\300، التحقيق: احمدعبد الغفور عطّار، الطبعة: دار العلم للملايين - بيروت، ط-2: 1979م.

[46]سورة الحديد، الآية:1

[47]سورة الحشر، الآية:1، وسورة الصف، الآية: 1

[48]سورة الحشر، الآية:2،1

[49]سورة الحشر، الآية:24

[50]انظر إلى الحديد، ورد عشر مرات فى السورة.

[51]سورة الأعلى،1-3

[52]سورة الأعلى، الآية:12

[53]وهى: التبرك، التعظيم، التشريف، المناسبة، الحثّ على القيام به حذراً من التهاون، السبق، السببية، الكثرة، الترقى من الأدنى إلى الأعلى، التدنى من الأعلى إلى الأدنى، انظر معترك الأقران فى إعجاز القرآن، للسيوطى، التحقيق: محمد على البجاوى، الطبعة: دار الفكر العربى- القاهرة، (بدون التاريخ). 1\131-135

[54]سورة الحديد، الآية:3

[55]سورة الحشر، الآية:2

[56]البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي،10 \244، التحقيق:عادل أحمدعبد الموجود- الشيخ علي محمد معوض،د.زكريا عبد المجيد النوقي د.أحمد النجولي الجمل، ط: دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط-1: 1422هـ- 200 م.

[57]سورة التغابن، الآية:1

[58]الدر المصون، فى علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبى،1 \5293 التحقيق: أحمد محمد الخراط، الطبعة: دار القلم – دمشق، بدون تاريخ

[59]سورة الحديد، الآية: 2

[60]لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، د.فاضل صالح السامرائي، ص:

[61]سورة التغابن، الآية:2

[62]سورة الأعلى، الآية:19

[63]سورة الحديد، الآية: 1 وانظر بداية الحشر والصفّ والجمعة والتغابن.

[64]سورة الأنبياء، الآية: 20

[65]سورة فصلت، الآية: 38

[66]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، د.فاضل صالح السامرائي، ص: 110

[67]السورة الحديد، الآية: 10

[68]السورة التغابن، الآية: 8

[69]السورة الحشر، الآية: 18

[70]السورة الجمعة، الآية: 11

[71]انظر لمسات بيانية من سورة الجمعة، 1\ 11

[72]سورة المائدة، الآية:42

[73]سورة التوبة، الآية: 47

[74]سورة الإنسان، الآية: 2

[75]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، ص: 220

[76]السورة الحديد، الآية: 4

[77]انظر لمسات بيانية فى نصوص من التنزيل، د.فاضل صالح السامرائي، ص: 233

[78]السورة الحديد، الآية: 6

[79]السورة الفجر، الآية: 29-30

[80] الفروق اللغوية، لأبى هلال العسكرى، 1\347، الطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط-1: 1412هـ.

[81]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، ص: 232

[82]سورة الجنّ، الآية: 26

[83]السورة الأنعام، الآية: 73

[84]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، ص: 220

[85]سورة الحديد، الآية:3

[86]السورة التغابن، الآية: 13

[87]تفسير أبو السعود، 6\271

[88]سورة الحشر، الآية:9

[89]انظر التحرير والتنوير،6\496

[90]سورة الجمعة، الآية:9

[91]نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 9\17، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الطبعة: دار الكتاب الإسلامى- القاهرة، ط: 1992م.

[92]التفسير الوسيط، للطنطاوى،1\4206

[93]سورة الصف، الآية:4

[94]سورة الحديد، الآية:14

[95]تهذيب اللغة، 19\8، المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر محمد النجار،2\648،الطبعة: دار الدعوة، التحقيق: مجمع اللغة العربية، فى جزئين، مقاييس اللغة، 4\382

[96] وهو هنا مثل رسول اسم فاعل مبالغة

[97]مصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى،6\497، الطبعة: المكتبة العلمية – بيروت – لبنان، بدون تاريخ. واللباب،18 \476

[98]التحرير والتنوير،14\398، والكشاف،6\495

[99]السورة الصف، الآية:12

[100]السورة التغابن، الآية: 9

[101]السورة آل عمران، الآية: 193

[102]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، ص: 232

[103]السورة الحديد، الآية: 9

[104]سورة الإسراء، الآية:3

[105]سورة الإسراء، الآية: 1

[106]السورة الجن، الآية: 19

[107]السورة الفرقان، الآية: 17

[108]سورة ص، الآية:30

[109]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، ص: 226

[110]سورة التغابن، الآية:17

[111]السورة الحديد، الآية:11

[112] ومصدره "إقراضا" على وزن أكرم إكراماً

[113]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، ص: 220

[114]سورة الحديد، الآية:11

[115]سورة الحديد، الآية:7

[116]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، ص: 220

[117]دراسات في فقه اللغة، لصبحى صالح، ص: 293، الطبعة: مطبعة جامعة – بدمشق، ط: 1960م.

[118]تحت إسم: باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني

[119]سرّ صناعة الاعراب، لأبى الفتح عثمان بن جنى،812/2، التحقيق: د.حسن هنداوى، الطبعة: دار القلم – دمشق، ط-1: 1405هـ – 1985م.

[120]السورة الحديد، الآية:9

[121]تفسير القطان، 3\303

[122]التحرير والتنوير، 14\387

[123]السورة الأنبياء، الآية: 107

[124]سورة الكهف، الآية: 65

[125]التفسير الوسيط، 1\4085

[126]السورة الشورى، الآية: 48

[127]جامع البيان في تأويل القرآن، للطبرى، 23\173

[128]وفي اللسان: الضد: "والموتُ ضِدُّ الحياة والليل ضِدُّ النهار، لسان العرب، 3\263، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة: دار صادر– بيروت، ط-1، بدون تاريخ.

[129]سورة الحديد، الآية:2

[130]سورة الحديد، الآية:3

[131]سورة الحديد، الآية:1-29

سورة الحشر من أول إلى آخر[132]

[133]سورة الصف، من أول إلى آخر

[134]سورة الجمعة، من أول إلى آخر

[135]سورة التغابن، من أول إلى آخر

[136]سورة الأعلى، من أول إلى آخر

[137] كلمة "وحدة" تدل فى اللغة على معنى الانفراد وكلمة "موضوعية" تأنيث الموضوع والمراد بالموضوع: المادة التى يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه، المعجم الوسيط،2\1028

[138]مقال بعنوان: الوحدة الفكرية فى السورة القرآنية، للأستاذ الدكتور عبد الغنى الراجحى، المجلة منبر الإسلام، عدد رجب 1394هـ يوليو 1974م.

[139]صفوة التفاسير، 27\118

[140]التفسير البغوى، (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، أبومحمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراءالبغوي الشافعي، 4\353، التحقيق:عبد الرزاق المهدي، الطبعة: دارإحياء التراث العربي – بيروت، ط – 1: 1420 هـ.

[141]صفوة التفاسير، جزء عمّ،30\61-62

[142]معجزات القرآن، للدكتور شوقى ضيف، ص: 112، الطبعة: دار المعارف، القاهرة ،ط-2: بدون التاريخ.

[143]انظر الرازى فى" التفسير الكبير"،،7\139،

[144]سورة التغابن، الآية:11

[145]سورة الجمعة، الآية:7

[146]سورة الحشر، الآية:10

[147]سورة التغابن، الآية:3

[148]سورة الأعلى، الآية:4

[149]انظر ثلاثة آيات فى أول الحديد.

[150]سورة الحديد، الآية: 2 وانظر السورة الحشر، الآية:6، والسورة التغابن، الآية:1

[151]سورة الأنعام، الآية:37

[152]سورة الأنعام، الآية: 65

[153]انظر لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائى، ص: 214

[154]السورة الحديد، الآية: 3

[155]انظر لمسات بيانية فى نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، ص: 224

[156]انظر سورة الحديد، الآية:1

[157]نفس المرجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- The Holy Quran
- المعاجم العربيةArabic Dictionaries

1) الإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى، التحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة: مؤسسة الرسالة، دمشق-بيروت، ط-1:2008م , Al-Itqan,fi Ulum ul Quran,Writer:Siuyute,publisher:Muasisat ur Risala,Dimashq

2) اعراب القرآن الكريم وبيانه، محى الدين الدرويش، الكريم: دار الإرشاد . سورية. ,Erab ul Quran,wa bayanuhu,Writer: Muhueyuddin Aderwesh, Publisher:Dar ul Irshaad,Seeria

3) ,Alkashaaf,writer:Zamakhshare,publisher:Mustafa al halbi,wa aoladuhu, .Egyptالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الطبعة: مطبعة مصطفى الحلبى وأولاده - القاهرة، ط - 1: ١٩66م.

4) أيسر التفسير لكلام العلي الكبير، لأبى بكر الجزائري، الطبعة: مكتبة العلوم والحكم، دار الحديث– القاهرة، ط: 1427هـ– 2006م. ,Aeser tuf seer,writer:Al-jazairi,publisher: Maktabat-ul-ulum wal hikam,Alciaro,Egypt

5) البرهان فى علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى، التحقيق: محمد أبوالفضل ابراهيم، الطبعة: دار إحياء الكتب العربية- مصر، ط -1: 1975م- 1376هـ. ,Al-Burhan fi ulum ul Quran, writer:Zarkashi,publisher:Dar Ehya-ul-kutub-ul-arabia,Egypt

6) [157]التحرير والتنوير، محمد بن محمد الطاه ربن عاشور التونسي، الطبعة: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، ط-1: 1420هـ/2000م. ,Atehrirwat-un-weer,writer:Ibn-e-aashor,publisher: Attarekh-ul-arabi, Berot,lubnan.

7) التفسير البغوى،(معالم التنزيل في تفسير القرآن)،أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراءالبغوي، التحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط -1: 1420 هـ ,Tafseer-ul-

Baghvi,writer:Al-Baghvi,Publisher: :Dar Ehya-ul-turas-ul-arabia,Berot,lubnan.

8) تفسير البيضاوى، للبيضاوى، الطبعة: دار الفكر– بيروت، بدون تاريخ.-Tafseer –ul, Bezavi,writer:Al-Bezavi,publisher: Dar-ul-fiker,Berot,Lubnan

9) تفسير الطبرى،محمد بن جرير بن يزيد بن كثيربن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: مؤسسة الرسالة، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،ط-1: 1421هـ-2000م.-Tafseer ul T|abri,writer: Al-tabbri,publisher: mouqi mujmau-ul-malik fahed,S.audia

10) التفسير الوسيط القرآن الكريم، محمد سيد الطنطاوى، الطبعة: دارالسعادة-مصر، بدون تاريخ.
Tafseer Al-waseet, Writer:Attantavi,publisher: Dar ul saada,Egypt

11) دراسات في فقه اللغة، صبحى صالح، الطبعة: مطبعة جامعة - بدمشق، ط: 1960م . Dirasat fi fiqh, ul Lugha,writer:Subhi Salihe,publisher: mutbia jamia,Dimushq.

12) الدر المصون، فى علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبى، التحقيق: أحمد محمد الخراط، الطبعة: دار القلم – دمشق، بدون تاريخ-Dur-ul-masoun,writer: Assamin-ul-halbi,publisher: Dar-ul-qalum,Dimashq.

13) سرّ صناعة الاعراب، أبو الفتح عثمان بن جنى، التحقيق: د.حسن هنداوى، الطبعة: دار القلم – دمشق، ط-1: 1405هـ – 1985م. -Sir sanaut-ul-erab,writer: Ib-e-Jinnee,publisher:Dar-ul-Qalum,Dimushq.

14) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الطبعة: مناهل العرفان، دمشق- بيروت، بدون تاريخ. -Safwa-ut-Tafaseer,writer:Al-saboni,publisher:Dimushq,berot.

15) الفروق اللغوية، لأبى هلال العسكرى، الطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقلم المشرفة، ط-1: 1412هـ. و Al Furuq-ul-lughavia,writer: Abi Hilal, Askari,publisher:nasher-ul-islami,

16) لمسات بيانيّة فى نصوص من التنزيل، د.فاضل صالح السامرائي، الطبعة: دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط1: 1419هـ/1999م . :Lumsaat Biyania,fi Nusoos minat tanzil,writer, dr.fazil us Samrai,publisher:Dar-ur-shuoen-ul-saqafia,Bughdad,Iraq

17) مباحث فى علوم القرآن، لمنّاع القطان، الطبعة: مؤسسة الرسالة،- بيروت، ط-71: 1990 م-1411هـ. Mabahis fi ulum-ul-quran,writer:munna ul, Qattan,publisher:mussisa-tul-risala, berot,lubnan.

18) معانى النحو، د. فاضل صالح السامرائى، الطبعة: دار الفكر- عمان، ط-5: 1432هـ.-maani-un-nahve,writer:fazil-us-samrai,publisher:Dar-ul-fiker,Umman.

19) معترك الأقران فى إعجاز القرآن، للسيوطى، التحقيق: محمد على البجاوى، الطبعة: دارالفكر العربى- القاهرة، (بدون التاريخ). Mutarik-ul-Aqran,fiIyjaz-ul-quran,writer:siyutti,publisher:dar-ul-fikerciaro,Egypt.

20) معجزات القرآن، الدكتور شوقى ضيف، الطبعة: دار المعارف، القاهرة، ط-2: بدون التاريخ. mujazat-ul-quran,writer:dr.shouqi zaief,publisher:dar-ul-maarif,Egypt

21) المفردات فى غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، التحقيق: سيد كيلانى، ا لطباعة: دار المعرفة - بيروت- لبنان، بدون تاريخ. Al mufradat fi ghareeb-ul-quran,writer: raghib Al Asfahani,publisher: dar-ul-marifa,berot,lubnan.

22) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الطبعة: دار الكتاب الإسلامى- القاهرة، ط: 1992م.
Nuzmu ul Durer fi tanasub ul ayat wassuver,writer:Al buqai,publisher:Dar-ul-kitab,-ul-islami,ciaro,Egypt.